# تقرير القرآن للتوحيد
# بضرب الأمثال

د. فوزية عبدالعزيز إبراهيم الشائع(*)

(*) أستاذ مساعد بقسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية - جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن - المملكة العربية السعودية.

## ملخص البحث:

تُعَدُّ عقيدة التوحيد الأساس الفاصل بين الإيمان والشرك؛ ولما كان البناء الإسلامي كله يقوم عليها فقد عني القرآن الكريم بتأسيس ذلك وتوضيحه غاية التوضيح، وقد تنوعت أساليب القرآن في توصيل رسالة التوحيد للناس؛ لأن هذه الرسالة أعظم حقيقة في الكون.. لذلك كان لها العناية الكاملة في القرآن الكريم.

ومن أساليب القرآن في تقرير عقيدة التوحيد: (ضرب الأمثال) لتقريب المعاني إلى الذهن، وتوضيحها في القلب، وربطها بالواقع، وإبطال الشرك، وهذه الأمثال تبين قبح الشرك وحقارة أعمال المشركين، فمن الأمثال: ما جاء به تعجيزه سبحانه لآلهة المشركين، أو تسفيه المشركين الذين يعبدون غير الله، وفيها – أيضاً – بيان عاقبة المشركين الذين يعبدون غير الله، وبيان مآلهم مع معبوديهم، وفيها بيان أن المعبودين من دون الله لا يحصل منهم تبع لمن عبدهم من جميع الوجوه، ومن هذا شأنه لا يصلح للعبادة.

وجاء في الأمثال المضروبة في القرآن: وصف لحال المؤمن وما يحصل له من السعادة والسكينة والطمأنينة، وحال الكافر وما يصيبه من الشقاء والضيق والحيرة، وجاء فيها وصف لحواس المؤمن ووصف لحواس الكافر الذي ضل عن الطريق المستقيم.

**المقدمة:**

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون.. الذي لم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، خلق الخلق لعبادته فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: ٥٦. وأنزل الكتب، وأرسل الرسل لتبليغ دينه، وشرعه؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

أرسلهم بدين واحد، وعقيدة واحدة، من لدن آدم إلى خاتم رسله سيد ولد آدم – عليه الصلاة والسلام – قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ الأنبياء: ٢٥.

وأصلي وأسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وتابعيهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فلا يخفى أن توحيد الألوهية – وهو إفراد الله تعالى بالعبادة – أول واجب أوجبه الله على المكلف، وهو أول الدين وآخره، وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل وآخرها، وهو معنى قول: لا إله إلا الله، ولأجله خُلقت الخليقة، وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكفار، وسعداء وأشقياء، وهو حقيقة دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحدٍ سواه.

لذا كان أول أمر في القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة: ٢١.

وكانت أول دعوة الرسل بعد حدوث الشرك: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ الأعراف: ٥٩.

وإن المتأمل في القرآن الكريم ليجد أن أعظم ما اهتمت به نصوصه، قضية توحيد الله تعالى توحيداً كاملاً خالصاً من الشرك في جميع صوره.

لذا كانت كل سور القرآن في الدعاء إلى هذا التوحيد، والأمر به، والجواب

عن الشبهات والمعارضات، وذكر ما أعد الله لأهله من النعيم المقيم، وما أعد لمن خالفه من العذاب الأليم، وكل سورة في القرآن داعية إلى هذا التوحيد، شاهدة به، متضمنة له؛ لأن القرآن إما خبر عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهو توحيد الربوبية، وتوحيد الصفات. فذاك مستلزم لهذا، متضمن له.

وإما دعاء إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه أو أمر بأنواع من العبادات، ونهي عن المخالفات، فهذا هو توحيد الألوهية والعبادة، وهو مستلزم للنوعين الأولين، متضمن لهما أيضاً.

وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده.

وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من الوبال، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد.

وقد تنوعت أساليب القرآن الكريم في تقرير هذا التوحيد، ومن هذه الأساليب: تقرير القرآن للتوحيد بالأدلة الكونية، ومنها: التقرير بالقصص القرآني، ومنها: التقرير بالتذكير بنعم الله.

ومن أشهر أساليب القرآن في تقرير التوحيد: ضرب الأمثال، وهو أسلوب قرآني جاء في القرآن لتقرير الحقائق للناس؛ ليفرقوا بين ما هو حق فيتبعوه، وما هو باطل فيجتنبوه، وليميزوا بين ما هو خير فيتمسكوا به، وما هو شر فيبتعدوا عنه.

وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح، وأبدأ فيه وأعاد، وضرب الأمثال في عدة مواضع..

ومحاولتي في هذا البحث إبراز المنهج الذي سلكه القرآن الكريم في تقرير عقيدة التوحيد بضرب الأمثال.

## الدراسات السابقة:

أوسع كتاب تناول الأمثال القياسية في القرآن الكريم هو: "أمثال القرآن"،

للإمام ابن القيم – رحمه الله – وهو في الأصل جزء من كتابه "إعلام الموقعين عن رب العالمين"، تكلم فيه عن الأمثال للتدليل على أن القرآن أرشد إلى القياس.

أما المؤلفات الحديثة في أمثال القرآن فقد تناولتها من جوانب متعددة، فمنها: من سار على طريقة المفسرين بذكر معاني الألفاظ والمعنى الإجمالي، وبيان المثل ونوعه، مثل كتاب: "الأمثال في القرآن الكريم" للشريف منصور العبدلي، وكتاب "الأمثال القرآنية، دراسة تحليلية" للدكتور محمد بكر إسماعيل.

ومنها: دراسات مختلفة مثل كتاب: "الأمثال في القرآن" لعبدالعزيز الشريف، وكتاب "أمثال القرآن" لعبدالرحمن حسن حبنكة الميداني.

ومنها: كتاب "أمثال ونماذج بشرية من القرآن الكريم" لأحمد محمد طاحون.

ومن المؤلفات الحديثة كتاب: "الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله" للدكتور عبدالله الجربوع، وقد اقتصر المؤلف على نماذج محدودة من الأمثلة القياسية.

ومنها: مؤلفات تعنى بالنواحي التربوية، وكذا الأدبية والبلاغية لأمثال القرآن، وهذا البحث بمشيئة الله سيكون في الأمثال التي تتعلق بمسائل التوحيد خاصة.

وستكون الخطة في البحث كالتالي:

١ – استقصاء الأمثال الواردة في آيات القرآن الكريم، ثم اختيار ما يناسب موضوع البحث.

٢ – تقسيم الآيات المشتملة على الأمثال المضروبة حسب صياغتها وطريقة عرضها ودلالة معانيها.

٣ – مناقشة المثل وتحليله عن طريق كتب التفسير والعقيدة؛ لارتباط بعضها ببعض.

والبحث يشتمل على ثمانية فصول وخاتمة:

الفصل الأول: بيان معنى الأمثال لغة واصطلاحاً، وأهمية ضرب الأمثال في القرآن الكريم.

الفصل الثاني: المثل المضروب لكلمة التوحيد وكلمة الشرك.

الفصل الثالث: الأمثال المضروبة لله ولما يعبد من دونه.

الفصل الرابع: ضرب الأمثال لبيان عجز آلهة المشركين.

الفصل الخامس: الأمثال المضروبة لوصف حالة المشرك وحالة الموحد.

الفصل السادس: أمثلة وصف حواس الموحد وحواس المشرك.

الفصل السابع: أمثلة لبيان فساد أعمال المشركين.

الفصل الثامن: المثل للحق والباطل.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

# الفصل الأول
# بيان معنى الأمثال لغةً واصطلاحاً
# وأهمية ضرب الأمثال في القرآن

## المعنى اللغوي للأمثال:

الأمثال: جمع، مفردها مثل: وهو الشيء الذي يضرب لشيء مثلاً، فيجعله مثله، أو هو ما يضرب به من الأمثال، وقد يكون المثل هو الصفة، كما في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ محمد: ١٥. أي صفتها[١].

وقال الفيروزآبادي: المِثل - بالكسر والتحريك - الشبه[٢].

وهناك معانٍ أخر ذهب إليها علماء البيان في تعريف المثل، فهو عندهم: المجاز المركب الذي تكون علاقته المشابهة متى فشا استعماله، وأصله الاستعارة التمثيلية.

وقيل في ضابط المثل كذلك: إنه إبراز المعنى في صورة حسية تكسبه روعة وجمالاً، والمثل بهذا المعنى لا يشترط أن يكون له مورد، كما لا يشترط أن يكون مجازاً مركباً.

وإذا نظرنا إلى أمثال القرآن التي يذكرها المؤلفون وجدنا أنهم يوردون الآيات المشتملة على تمثيل حال أمر بحال أمر آخر، سواء أورد هذا التمثيل بطريق الاستعارة، أو بطريق التشبيه الصريح، أو الآيات الدالة على معنى رائع بإيجاز، أو التي يصح استعمالها فيما يشبه ما وردت فيه، فإن الله ابتدأها دون أن يكون لها مورد من قبل.

فأمثال القرآن لا يستقيم حملها على أصل المعنى اللغوي الذي هو الشبيه

---

(١) انظر: لسان العرب: (١١/٦١١) مادة مثل.
(٢) القاموس المحيط، مادة: (مثل).

والنظير، ولا يستقيم حملها على ما يذكر في كتب اللغة لدى من ألفوا في الأمثال، إذ ليست أمثال القرآن أقوالاً استعملت على وجه تشبيه مضربها بموردها، ولا يستقيم حملها على معنى الأمثال عند علماء البيان، فمن أمثال القرآن: ما ليس باستعارة، وما لم يفش استعماله، ولذا كان الضابط الأخير أليق بتعريف المثل في القرآن: فهو إبراز المعنى في صورة رائعة موجزة لها وقعها في النفس، سواء أكانت تشبيهاً أو قولاً مرسلاً(١).

## المعنى الاصطلاحي:

المَثْل: تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: المِثْل في الأصل: هو الشبيه، وهو نوعان؛ لأن القضية المعينة إما أن تكون شيئاً معيناً أو عاماً كلياً، فإن القضايا الكلية التي تعلم وتقال مطابقة مماثلة لكل ما يندرج فيها، وهذا يسمى قياس في لغة السلف واصطلاح المنطقيين.

وتمثيل الشيء المعين بشيء معين يسمى هو أيضاً قياساً في لغة السلف واصطلاح الفقهاء، وهو الذي يسمى قياس التمثيل(٣).

## فوائد الأمثال في القرآن الكريم:

الأمثال تبرز المعقول في صورة المحسوس الذي يلمسه الناس فيتقبله العقل، وتكشف الأمثال عن الحقائق، وتعرض الغائب في معرض الحاضر، وتشبيه الخفي بالجلي، ولضرب الأمثال شأن في إبراز الخفيات والحقائق؛ حتى يرى المتخيل في صورة المتحقق، والمتوهم في معرض المتيقن.

---

(١) انظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان: (ص: ٢٨٣).
(٢) إعلام الموقعين، ابن القيم: (١/ ١٥٠).
(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: (١٤/ ٥٤).

ويضرب المثل للترغيب في الممثل، والتذكير والوعظ والحث، ويضرب للتنفير والزجر.

والأمثال أوقع في النفس، وأبلغ في الوعظ، وأقوى في الزجر، وأقوم في الإقناع، وقد أكثر الله تعالى الأمثال في القرآن للتذكرة والعبرة(١).

وللمثل أثر بالغ في إيصال المعنى إلى العقل والقلب؛ حيث يقدم المعنى في صورة حسية، فيربطه بالواقع، ويقربه إلى الذهن، فضلاً عَمّا له للمثل صورة بلاغية تأخذ بمجامع القلوب وتستهوي العقول، وبخاصة عقول البلغاء، ولذلك أكثر القرآن من ضرب الأمثال، وذكر حكمة ذلك في آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ العنكبوت: ٤٣.

وقد امتن الله سبحانه وتعالى على عباده بأن ضرب لهم الأمثال، فقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ الإسراء: ٨٩. وقال تعالى: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ إبراهيم: ٤٥. وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ العنكبوت: ٤٣. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ الروم: ٥٨. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ الكهف: ٥٤.

وقد نهى الله سبحانه وتعالى عباده أن يضربوا له الأمثال بقوله سبحانه: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النحل: ٧٤. يعني الأشباه، فتشبهونه بخلقه، وتجعلون له شريكاً، فإنه سبحانه لا مثل له، ولا ند له، لا في ذاته، ولا في أسمائه وصفاته، ولا في أفعاله، وضرب المثل هو تشبيه

---

(١) انظر: الإتقان للسيوطي (٢/ ١٣١)، ومباحث في علوم القرآن (ص: ٢٨٨).

حال بحال، والله سبحانه لا تضرب له الأمثال التي فيها مماثلة لخلقه، فإن الله لا مثل له[١].

وقال بعض العلماء: إن هذه الجملة بها الدليل الواضح على أنه ليس لله ند، وأنها كضرب المثل في امتناع المثل؛ لأننا نحن لا نعلم والله يعلم، فإذا انتفى العلم عنا وثبت لله تبين أن لا مماثلة[٢].

وقد جاء ضرب بعض الأمثال في القرآن الكريم لتقرير وحدانية الله عز وجل ومناهضة الشرك، وجاء فيها بيان حال قلب الموحد، وحال قلب المشرك، وضرب المثل للحق والباطل، وضرب المثل لكلمة التوحيد وكلمة الشرك، وبعض الأمثال جاء ضربه لبيان عجز آلهة المشركين، وجاء في السياق ضرب الأمثال لحال الموحد وحواسه وحياته، وكذا حال المشرك وموت قلبه وانكبابه على وجهه، وضرب الأمثال لأعمال المشركين ومآلها.

---

(١) التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية، عبدالعزيز الرشيد، (ص: ١٢٣).

(٢) المحاضرات السنية في شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين (١/ ٣٢٥).

# الفصل الثاني

# المثل المضروب لكلمة التوحيد وكلمة الشرك

إن أفضل كلمة قالها الناس قول: لا إله إلا الله؛ تلك الكلمة التي قامت عليها السموات والأرض، وهي الكلمة الفصل بين الحق والباطل. ولأهمية كلمة التوحيد ومهمتها في حياة الأفراد والأمم، فقد ضرب الله بها مثلاً في القرآن الكريم فقال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ إبراهيم: ٢٤-٢٦.

هذه الآيات في تقرير عقيدة التوحيد، ولتأصيل الأثر البالغ لهذه الكلمة شبه الله سبحانه وتعالى كلمة التوحيد - لا إله إلا الله - بالشجرة الطيبة، وهي النخلة، قال العلماء: وذلك عبارة عن عمل المؤمن وقوله الطيب وعمله الصالح، وإن المؤمن كشجر من النخل لا يزال يرفع له عمل صالح في كل حين ووقت وصباح ومساء[(١)].

ووجه هذا المثل أنه سبحانه شبه كلمة التوحيد وما يتبعها من كلام طيب، بالشجرة الطيبة ذات الجذور الثابتة والراسخة في الأرض، والأغصان العالية، لا تنال منها الرياح العاتية، ولا تعصف بها العواصف الهوجاء، فهي تنبت من البذور الصالحة، وتعيش في الأرض الصالحة، وتجود بخيرها في كل حين، ثم تعلو من فوقها بالظلال الوارفة، وبالثمار الطيبة التي يستطيبها الناس ولا يشبعون منها، فكذلك الكلمة الطيبة تملأ النفس بالصدق والإيمان، وتدخل إلى القلب من غير استئذان فتعمل به ما تعمل.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢/ ٥٣٠)، وفتح القدير، للشوكاني (٣/ ١٠٦).

أما الكلمة الخبيثة فكالشجرة الخبيثة، وهذا مثل كفر الكافر لا أصل له ولا ثبات، مشبه بشجرة الحنظل، ويقال لها الشريان[(١)].

والكلمة الخبيثة هي كلمة الشرك، وهي كلمة سوء لا خير فيها، ولا نفع يرجى منها، وما يتبعها إلا كلام خبيث، وهي ضارة غير نافعة، تضر صاحبها، وناقلها، ومتلقيها، وتضر كل من نطق بها، وتسيء لكل سامع لها، وهي كالشجرة الخبيثة أصلها غير ثابت، ومذاقها مر، وشكلها لا يسر الناظرين، تتشابك فروعها وأغصانها، حتى ليخيل للناظر إليها أنها تطغى على ما حولها من الشجر والنبات، إلا أنها في حقيقة أمرها هزيلة، لا قدرة لها على الوقوف في وجه العواصف والأعاصير، بل تنهار لأدنى ريح، وتتهاوى لأقل خطر يهددها، وهكذا الكافر لا ثبات له في هذه الحياة ولا قرار، فهو متقلب، وسائر خلف كل ناعق، لا يهتدي إلى الحق سبيلاً، ولا يعرف إلى الخير طريقاً، فهو شر كله، اعتقاداً وفكراً وسلوكاً وأخلاقاً.

يقول الإمام ابن القيم – رحمه الله –: (وإذا تأملت هذا التشبيه رأيته مطابقاً لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب، التي فروعها من الأعمال الصالحة صاعدة إلى السماء، ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت، بحسب ثباتها في القلب، ومحبة القلب لها، وإخلاصه فيها، ومعرفته بحقيقتها، وقيامه بحقوقها ومراعاتها حق رعايتها.

فمن رسخت هذه الكلمة في قلبه بحقيقتها، واتصف قلبه بها، فعرف حقيقة الإلهية التي يثبتها قلبه لله، ويشهد بها لسانه، وتصدقها جوارحه، وانقادت جوارحه لمن شهد له بالوحدانية طائعة سالكة سبل ربه ذللاً غير ناكبة عنها، ولا باغية سواها بدلاً، كما لا يبتغي القلب سوى معبوده الحق بدلاً؛ فلا ريب أن هذه الكلمة من هذا القلب على هذا اللسان لا تزال تؤتي ثمرتها من العمل الصالح إلى الرب تعالى[(٢)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٣٠).

(٢) انظر: الأمثال في القرآن الكريم: (ص ٢٢٩).

فإذا كانت الشجرة الطيبة دليل العطاء والبذل، فإن كلمة التوحيد دليل العبودية لله، وبرهان الاعتماد عليه والإخلاص له، وإذا كانت الشجرة الطيبة عنوان الخير والجود، فإن المؤمن خير كله، وبركة كله، وطيب كله.

ولاشك أن القرآن الكريم حين يضرب مثلاً لكلمة التوحيد أو للمؤمن بالشجرة الطيبة الخيرة المعطاء، يكون قد أثبت هذا المعتقد وأوصله بشكل أكثر وضوحاً، وأشد بياناً من أن يأتي المعنى مجرداً خالياً من أي تمثيل أو تشبيه.

# الفصل الثالث

# الأمثال المضروبة لله ولما يعبد من دونه

من أهم القضايا التي ضرب الله عليها الأمثال في القرآن الكريم قضية التوحيد وهي أنه (لا إله إلا الله) والتي تعني: أنه لا معبود بحق إلا الله، وقد بين الله تعالى بطلان عبادة غيره من الآلهة بعدد من الآيات.

## المبحث الأول

## عدم قبول المشركين إشراك عبيدهم في ما يخصهم

لقد ضرب الله مثلاً لنفسه ولما يعبد من دونه بعدم قبول المشركين إشراك عبيدهم فيما يخصهم، فكيف يقبلون ذلك لله تعالى؟

قال عز وجل: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الروم: ٢٨.

قال ابن كثير – رحمه الله –: هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين به العابدين معه غيره، الجاعلين له شركاء، وهم مع ذلك معترفون أن شركاءه من الأصنام والأنداد عبيد له، ملك له، كما كانوا يقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، فقال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: تشهدونه وتفهمونه من أنفسكم ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ أي: يرضى أحدكم أن يكون عبده شريكاً له في ماله فهو وهو فيه على السواء، وتخافون أن يقاسموكم الأموال، والمعنى: أن أحدكم يأنف من ذلك، فكيف تجعلون لله الأنداد من خلقه(١).

(١) تفسير ابن كثير (٣/٤٣١).

وقال شيخ الإسلام – رحمه الله –: (يخاف أحدكم مملوكه كما يخاف بعضكم بعضاً، فإذا كان أحدكم لا يرضى أن يكون مملوكه شريكه فكيف ترضونه لله؟)[١].

وهذا من أعجب الأشياء، ومن أدل شيء على سفه من اتخذ شريكاً مع الله، وأن ما اتخذه باطل مضمحل، ليس مساوياً لله، ولا له من العبادة شيء[٢].

قال ابن القيم – رحمه الله – في معرض حديثه عن هذا المثل: (وهذا دليل قياسي احتج الله سبحانه به على المشركين حيث جعلوا له من عبيده وملكه شركاء، فأقام عليهم حجة يعرفون صحتها من نفوسهم، لا يحتاجون فيها إلى غيرهم، ومن أبلغ الحجج أن يأخذ الإنسان من نفسه، ويُحتج عليه بما هو في نفسه مقرر عندها، معلوم لها، فقال: هل لكم مما ملكت أيمانكم من عبيدكم وإمائكم شركاء في المال والأهل؟ أي: هل يشارككم عبيدكم في أموالكم وأهليكم، أم تخافون أن يقاسموكم أموالكم ويشاطروكم إياها، ويستأثرون ببعضها عليكم، كما يخاف الشريك شريكه؟ فإذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم فلم عدلتم بي من خلقي من هو مملوك لي؟)[٣].

وقال المقريزي – رحمه الله –: (فما قدر القوى العزيز حق قدره من أشرك معه الضعيف الذليل)[٤].

ويلاحظ هنا عظم فائدة هذا المثل في تقرير عقيدة التوحيد، حتى قال بعض أهل العلم: (فهم هذا المثل أفضل من حفظ كذا مسألة فقهية)[٥]. لما أقام عليهم الحجة ذكر الله سبحانه وتعالى أنهم يعبدون الأصنام باتباع أهوائهم وتقليد آبائهم وأسلافهم.

---

(١) مجموع الفتاوى (١/١٥٦).
(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن السعدي (ص ٦٤٠).
(٣) انظر: إعلام الموقعين (١/١٥٩).
(٤) تجريد التوحيد المفيد (ص ٧٩).
(٥) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الجزائري (٤/١٧٦).

# المبحث الثاني

# ضرب الله المثل لإثبات التوحيد له، وإبطال عبادة غيره

## المثل الأول:

قال عز وجل: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدًا مَّمۡلُوكًا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٍ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرًّا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ النحل: ٧٥.

هذا المثل ضربه الله عز وجل في تقرير التوحيد وإبطال الشرك والتنفير منه، قال مجاهد: (هو مثل مضروب للوثن وللحق تعالى فهل يستوي هذا وهذا؟ ولما كان الفرق بينهما ظاهراً واضحاً بيناً لا يجهله إلا كل غبي قال تعالى: ﴿شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ قَدِيرٞ وَٱللَّهُ﴾)(١).

وقال الطبري: (يقول تعالى ذكره: وشبه لكم شبهاً أيها الناس للكافر من عبيده والمؤمن به، فأما مثل الكافر فإنه لا يعمل بطاعة الله، ولا يأتي خيراً، ولا ينفق ماله في شيء من سبيل الله، كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء فينفقه، وأما المؤمن بالله فإنه يعمل بطاعة الله، وينفق في سبيله ماله، كالحر الذي آتاه الله مالاً فهو ينفق منه سراً وجهراً.. فهل يستوي العبد الذي لا يملك شيئاً، ولا يقدر عليه، وهذا الحر الذي قد رزقه الله رزقاً حسناً، فهو ينفق كما وصف؟ فكذلك لا يستوي الكافر العامل بمعاصي الله المخالف أمره والمؤمن العامل بطاعته)(٢).

وهنا يلاحظ بيان الفرق بين خالق العباد ومدبر أمرهم، وبين الأصنام التي تعبد من دون الله، ولا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً، فضلاً عن أن تملك ذلك لغيرها.

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٥٧٨).

(٢) تفسير الطبري (١٤/٤٨).

وجاء هذا المثل - أيضاً - في كتاب الله لبيان فضل العاقل الذي يدير أموره بحكمة وعقل وتفكير سليم، ويعبد الله، ويعمل عملاً صالحاً، على من لا يتصف بتلك الصفات الإيجابية.

## المثل الثاني:

قوله عز وجل: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ النحل: ٧٦.

ولهذه الآية ارتباط وثيق بالآية السابقة، ففي هاتين الآيتين ضرب الله مثلين لإثبات توحيد الله وإبطال عبادة غيره.

فهذا المثل الذي ضربه الله سبحانه وتعالى لنفسه ولما يعبد من دونه صور فيه الصنم الذي يعبد من دونه بمنزله رجل أبكم لا يعقل ولا ينطق، بل هو أبكم القلب واللسان، قد عدم النطق القلبي واللساني، ومع هذا فهو عاجز لا يقدر على شيء البتة، ومع هذا فأينما أرسلته لا يأتيك بخير، ولا يقضي لك حاجة، والله سبحانه حي قادر متكلم، يأمر بالعدل، وهو على صراط مستقيم، وهذا وصف له بغاية الكمال والحمد)(١).

وهذا المثل ينطبق على كل الأصنام والأوثان التي تعبد من دون الله؛ إذ هي لا تسمع ولا تبصر، فلا تفهم ما يقال لها، ولا تُفهم عابديها شيئاً، وهي محتاجة إليهم في صنعها ووضعها وحملها وحمايتها، ومثل هذه الأصنام في جمودها وتعب عُبَّادها عليها في الحماية وعدم انتفاعهم بها.. ومثل الرب تبارك وتعالى في عدله ودعوته إلى الإسلام وقيامه على ذلك مع استجابة دعاء أوليائه، ورعايتهم، وعلمه بهم، وسمعه لدعائهم، ونصرتهم في حياتهم، وإكرامهم، والإنعام عليهم في كل حياتهم، ولله المثل الأعلى، وهو العزيز الحكيم.

(والمثلان في الآيتين لهما أثر بين في المجتمع، فهما يكشفان بجلاء

(١) إعلام الموقعين (١/ ١٦١).

ظاهرة اجتماعية لا تخفى على الإنسان الجاهلي المخاطب بهذين المثلين، إنه يعرف أن العبد في مجتمعه لا يتصرف مثل الحر في كل أموره، وكذلك فضل العاقل الذي يأمر بالعدل والإحسان، وهو مستقيم في عقيدته، وسلوكه، وعمله على الأبكم الْكَلِّ على مولاه، الذي لا يأتي بخير في أي عمل قام به، هذان المثلان يوجهان المخاطب إلى اختيار أفضل السبل التي تقربه من الله بالإيمان الصادق، والعبادة الخالصة لجلاله، والسلوك القويم الذي يرضى عنه الله ورسوله، ويبينان الفرق بين من يعبد أصناماً لا تنفع ولا تضر، وبين من يعبد الله الخالق القادر الواهب.

والمثلان قد اقترنا ببيان ميزة الحر على العبد، والعاقل على الأبكم؛ فالإنسان يميل بطبعه إلى الحرية ويعشقها ويكره الذل والاستعباد، ويحب البليغ الفصيح الذي يكون قادراً على إقناع الآخرين بالحجة والبرهان، وأن مثل هذا الفرد يكون أثره ظاهراً في المجتمع، فكم من كلمة بليغة وخطبة جامعة قد غيرت سلوك أفراد وجماعات، بينما الأبكم يفقد هذه الخصائص الإيجابية في التأثر والتأثير)[١].

---

(١) انظر: مقال: دلالات الأمثال في البيان القرآني، د. محمد الحجوي، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت (العدد رقم ٥٢٥) بتاريخ ٢٠٠٩/٦/١١م.

# الفصل الرابع
# ضرب الأمثال لبيان عجز آلهة المشركين

إن من أنواع الشرك: أن يعتقد الإنسان في غير الله - من نجم أو إنسان، أو نبي، أو صالح، أو كاهن، أو ساحر، أو نبات، أو حيوان، أو غير ذلك - أنه يقدر بذاته على جلب منفعة من دعاه، أو استغاث به، أو دفع مضرة عنه، ولهذا ضرب الله عز وجل الأمثال العظيمة؛ لبيان عجز هذه الآلهة المعبودة من غير الله عن سماع الدعاء، وعن الاستجابة لمن لجأ إليها.

## المبحث الأول
## عجز الأصنام عن سماع الدعاء وعن الإجابة

**المثال الأول:**

قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ البقرة: ١٧١.

إن هذا المثل قوي في الدلالة على ضعف الآلهة التي كانوا يعبدونها، فهي تفقد صفة الحياة والقدرة، فكيف تجيب الداعي وتلبي رغبته.

وإن مثل الذين كفروا في جحودهم وتقليد آبائهم في الشرك والضلال كمثل غنم ينعق بها راعيها الأمين عليها، فهو إذا صاح فيها داعياً لها أو منادياً سمعت الصوت، وأجابت، ولكن لا تدري لماذا دعيت؟ ولا لماذا نوديت؛ لفقدها العقل.. وهذا المثل صالح لكل من يدعو أهل الكفر والضلال إلى الإيمان والهداية، فهو مع من يدعوهم من الكفرة والمقلدين والضلال الجامدين كمثل الذي ينعق بما لا يسمع.

وهذه الآية جاءت بصورة عجيبة ومثل غريب للذين يعطلون قواهم العقلية، ويكتفون بالتبعية في كل شيء حتى أصبحوا كالشياه؛ يسوقها راعيها حيث

شاء، فإذا نعق بها داعياً لها أجابت ولو كان دعاؤه إياها لذبحها، وكذا إذا ناداها بأن كانت بعيدة أجابته وهي لا تدري لِمَ نوديت؛ إذ هي لا تسمع ولا تفهم إلا مجرد الصوت الذي ألفته بالتقليد الطويل والاتباع بدون دليل.

### المثال الثاني:

قوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَـٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ﴾ الرعد: ١٤.

لله عز وجل إجابة دعوة الحق، وهي التوحيد، والمقصود بها كلمة – لا إله إلا الله – أما الذين يعبدون آلهة غير الله فهم كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه، قال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –: كمثل الذي يتناول الماء من طرف البئر بيده، ولا يناله أبداً بيده فكيف يبلغ فاه؟ وقيل: المراد كقابض يده على الماء فإنه لا يحكم منه على شيء، ومعنى هذا الكلام: أن الذي يبسط يده إلى الماء إما قابضاً وإما متناولاً له من بعد كما أنه لا ينتفع بالماء الذي لم يصل إلى فيه الذي جعله محلاً للشرب، فكذلك هؤلاء المشركون الذين يعبدون مع الله إلهاً غيره لا ينتفعون بهم أبداً في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يستجيبون لهم بشيء، ولا ينفعونهم في أشد الأوقات إليهم حاجة؛ لأنهم فقراء، لا يملكون مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وما لهم فيها من شرك، وما له منهم من ظهير(١).

## المبحث الثاني

## عجز الأصنام عن الخلق وعن استعادة ما يسلب منها

ضرب الله عز وجل مثلاً يبين فيه حال الآلهة الباطلة التي عبدت من دون الله وما فيها من العجز والمهانة حتى إنها غير قادرة على خلق أبسط الأشياء.

قال عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/٥٠٧)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٤١٥).

﴿ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾ الحج: ٧٣.

وهذا هو حال كل المدعوين من دون الله، أنهم لا ينفعون ولا يضرون، وسواء في ذلك الملائكة أو الأنبياء والصالحون والأصنام، فكل من دعي من دون الله فهذه حاله[١].

وفي هذا المثل غاية التحقير والمهانة لآلهتهم، وفيه التقريع الشديد كذلك لعابديها مع علمهم بضعفها ومهانتها، ومع ذلك يجعلونها مثلاً لله.

وابتدأ سبحانه وتعالى خطابه إلى الناس بصفة عامة والمشركين بصفة خاصة ببيان عجز تلك الأصنام المعبودة عن خلق هذه الحشرة الصغيرة حتى مع اجتماعها وتساندها وتضافرها.

ثم تحداهم بما هو أسهل من الخلق، وهو عجز تلك الأصنام عن مقاومة الذباب، حيث يسلبها ما وضع عليها من عسل ونحوه، فقد دأب المشركون على إغراق الأصنام بالعسل والزعفران والمسك، وهي لا تملك المقاومة، أو استرداد ما سلب منها، وفي هذا بيان لهزيمة تلك الأوثان أمام هذا الكائن الصغير الحقير.

وقد ذكر الإمام ابن القيم فصلاً عن هذا المثل وما فيه من الفوائد.

**يقول رحمه الله: (حقيق على كل عبد أن يستمع قلبه لهذا المثل، ويتدبره حق تدبره، فإنه يقطع مواد الشرك من قلبه، وذلك أن المعبود أقل درجاته أن يقدر على إيجاد ما ينفع عابده وإعدام ما يضره، والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق الذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقه، فكيف ما هو أكبر منه؟ ولا يقدرون على الانتصار من الذباب إذا سلب شيئاً مما عليهم، فيستنقذونه منه، فلا أعجز من هذه الآلهة، ولا أضعف منها، فكيف يستحسن عاقل عبادتها**

(١) انظر: دليل التوحيد، القاسمي (ص ٨١)، تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبدالله آل الشيخ (ص ٢١٣).

**من دون الله؟ وهذا المثل من أبلغ ما أنزله الله سبحانه في بطلان الشرك، وتجهيل أهله، وتقبيح عقولهم)**[١].

إن في هذا المثل رداً على كل مشرك وبيان لحال المدعوين من دون الله أنهم لا ينفعون ولا يضرون، وهذا المثل عظيم في تقرير عجز كل مخلوق مهما بلغ من القوة، فالذين يدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا كلهم على محاولة ذلك، ولو اجتمع جميع الآلهة التي تعبد من دون الله وجميع السلاطين، وجميع الرؤساء، وجميع المهندسين، على أن يخلقوا ذباباً واحداً ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ونجد في هذا العصر الذي تقدمت فيه الصناعة هذا التقدم الهائل، لو اجتمع الخلق على أن يخلقوا ذباباً ما استطاعوا، حتى لو أنهم كما يقولون: صنعوا آدمياً آلياً، ما استطاعوا أن يخلقوا ذبابة، وهذا الآدمي الآلي ما هو إلا الآلات تتحرك فقط، لكن لا تجوع، ولا تعطش، ولا تبرد، ولا تتحرك إلا بتحريكها، أما الذباب فلا يمكن أن يخلقه سوى الله، فالله وحده هو الخالق، يخلق بكلمة واحدة (كن فيكون).

## المبحث الثالث

## عجز الآلهة عن حماية غيرها

ومن المواضيع التي ضرب الله بها مثلاً.. لتقريب التوحيد، وإبطال الشرك العائق عن كمال الإنسان وسعادته: المثل الذي يدل على أن من اتخذ من دون الله ولياً يتعزز به ويتكبر به ويستنصر به لم يحصل له به إلا ضد مقصوده، وذلك في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ العنكبوت: ٤١.

يبين تعالى ذكره: أن الذين اتخذوا شركاء.. يوالونهم ويتكلون عليهم في حاجاتهم من دون الله سواء أكانوا من الجماد أو الحيوان، من الأحياء أو من

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ١٨١).

الأموات، ويعبدونهم راجين منفعتهم وشفاعتهم لهم عند الله.. كمثل العنكبوت في ضعفها وقلة حيلتها، فإن بيتها لا يغني عنها شيئاً لا في حر ولا قر ولا مطر، وكذلك ما اتخذوه ولياً من دون الله، فإنه لا ينفعهم بوجه من وجوه النفع، ولا يغني عنهم شيئاً، فشبه الأصنام ببيت العنكبوت، وهو أوهن البيوت وأضعفها وأحقرها شأناً، وأقلها مناعة، وشبه المشركين بالتجائهم للأصنام كالتجاء العنكبوت لبيتها الواهن الضعيف، فهذه حال المشركين الذين اتخذوا من دون الله أولياء وأصناماً يرجون منها النفع ودفع الضر، فهم واهمون في ذلك غالطون مخطئون، فإنه لا ينفع ولا يضر إلا الله، فليعبدوه وحده وليتركوا ما سواه[١].

**يقول ابن القيم – رحمه الله –: (ذكر الله سبحانه أنهم ضعفاء، وأن الذين اتخذوهم أولياء هم أضعف منهم، فهم في ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت اتخذت بيتاً وهو أهون البيوت وأضعفها، وتحت هذا المثل أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حين اتخذوا من دون الله أولياء فلم يستفيدوا بمن اتخذوهم أولياء إلا ضعفاً)[٢].**

وهذا المثل من أحسن الأمثال وأدلها على بطلان الشرك وخسارة صاحبه وحصوله على ضد مقصوده، فإن هؤلاء المشركين اتكلوا على الأولياء في كثير من مصالحهم، وألقوها عليهم، وتخلوا هم عنها، على أن أولئك سيقومون بها، فخذلوهم، فلم يحصلوا منهم على طائل، ولا أنالوهم من معونتهم أقل نائل، فلو كانوا يعلمون حقيقة، حالهم وحال من اتخذوهم، لم يتخذوهم، ولتبرؤوا منهم، ولتولوا الرب القادر الرحيم الذي إذا تولاه عبد وتوكل عليه كفاه مؤونة دينه ودنياه، وازداد قوة إلى قوته، في قلبه وفي بدنه وحاله وأعماله.

---

(١) انظر: فتح القدير (٤/ ٢٠٤)، وأيسر التفاسير (٤/ ١٣٦).
(٢) إعلام الموقعين (١/ ١٥٤).

# الفصل الخامس
# الأمثال المضروبة لوصف حالة المشرك وحالة الموحد

ضرب الله عز وجل أمثالاً عدة لحال المؤمن الموحد الذي يتعبد لله عز وجل بأنواع العبادات في العقائد والأقوال والأعمال التي يحبها الله ويرضاها، ومثلاً للمشرك العابد لغير الله وبين حاله وما يجتاحه من الحيرة والتردد والشك، والضياع لعبادته آلهة لا تسمع ولا تبصر ولا تملك له نفعاً ولا تدفع عنه ضراً.

## المبحث الأول
## مثل المشرك بالعبد المملوك لجماعة كثيرين

جاءت الأمثال في كتاب الله لبيان فضل من يعبد إلهاً واحداً يقوم بما كلفه به، ويرجو ثوابه، على من يعبد الآلهة فلا يدري أيها يستقر على عبادته ويدعوه ليستجيب له، فقال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ الزمر: ٢٩.

جاء هذا المثل القرآني في سياق الحديث عمن شرح الله صدره للإسلام، فعرف طريق الحق، فآمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً، ومن ضلَّ عن طريق الهداية فقسا قلبه، فكان في ضلال مبين.

فهذا المثال يدل على فساد مذهب المشركين، وقبح طريقتهم، ويدل على حال العبد الموحد الذي يعبد الله وحده، ولا يشرك معه أحداً من خلقه، وحال العبد المشرك الذي يعبد شركاء عدة، لا يعرف كيف يرضيهم جميعاً.

ووجه التمثيل: أنه سبحانه شبه حال المشرك الذي يعبد آلهة متعددة،

بحال عبد له أكثر من سيد يخدمه ويطيعه، فكل واحد منهم يأمره بما لا يأمره به الآخر، فبعضهم يقول له: افعل، وبعضهم يقول له: لا تفعل، فهو حائر في أمرهم، لا يدري أيهم يرضي، فإن أرضى هذا غضب ذاك، فهو لأجل هذه الحال يعيش في عذاب دائم، وتعب مستمر.

أما مثل حال المؤمن الموحد فقد شبهه سبحانه بحال العبد الذي يعمل تحت إمرة سيد واحد، فلا أمر لأحد عليه، إلا أمر ذلك السيد، فهو مطيع له على كل حال، وهو ساعٍ لكسب وده ونيل رضاه من غير ملل، ثم هو غير مشتت الهوى، ولا مبعثر القوى؛ لأن وجهته واحدة غير متعددة، ومقصوده واحد غير متناقض؛ لذا فهو في راحة تامة وطمأنينة كاملة.

**قال الإمام ابن القيم – رحمه الله –: (وهذا من أبلغ الأمثال، فإن الخالص لمالك واحد يستحق من معونته وإحسانه، والتفاته إليه، وقيامه بمصالحه ما لا يستحق صاحب الشركاء المتشاكسين.. الحمد لله، بل أكثرهم لا يعلمون)[(١)].**

وحاصل هذا المثل القرآني: أن من وحد عبوديته لله سبحانه، وأخلص له في عبادته، واتبع الحق الذي أمر به، كان في الدنيا سعيداً رضياً، وفي الآخرة فائزاً مرضياً، أما من أشرك مع الله آلهة أخرى، فقد ضل سواء السبيل، وعاش دنياه حائراً غير آمن، فهو خاسر للدنيا قبل خسران الآخرة.

## المبحث الثاني
## مثل المشرك بالحيران في الأرض

ضرب الله عز وجل مثل المشرك في عبادته لغير الله كمثل رجل في الفلاة حائراً، وله أصحاب مسلمون موحدون يدعونه للهدى فلا يتبعهم، قال عز وجل: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ

(١) إعلام الموقعين (١/١٨٧).

يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ الأنعام: ٧١.

في هذه الآية يقول المشركون للمسلمين: اتبعوا سبيلنا واتركوا دين محمد فردوا عليهم: أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد إلى الكفر بعد إذ هدانا الله، فيكون مثلنا مثل الذي استهوته الشياطين في الأرض، فمثلكم إن كفرتم بعد إيمانكم كمثل رجل خرج مع قوم على الطريق فَضَلَّ الطريق فحيرته الشياطين واستهوته في الأرض وأصحابه على الطريق فجعلوا يدعونه إليهم يقولون: ائتنا فإنا على الطريق، فأبى أن يأتيهم، فذلك مثل من يتبعهم بعد المعرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم، ومحمد هو الذي يدعو إلى الطريق، والطريق هو الإسلام[(١)].

قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: (وهذه الآية مثل ضربه الله للآلهة ومن يدعو إليها، والدعاة الذين يدعون إلى هدى الله عز وجل كمثل رجل ضل عن الطريق تائهاً، إذ ناداه منادٍ: يا فلان ابن فلان، هلم الطريق، وله أصحاب يدعونه: يا فلان هلم إلى الطريق، فإن اتبع الداعي الأول انطلق به حتى يلقيه إلى الهلكة، وإن أجاب من يدعوه إلى الهدى اهتدى إلى الطريق)[(٢)].

والإشراك في الدعاء هو أكبر شرك المشركين الذين بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنهم يدعون الأنبياء والصالحين والملائكة، ويتقربون إليهم؛ ليشفعوا لهم عند الله، ولهذا يخلصون في الشدائد لله، وينسون ما يشركون، حتى جاء أنهم إذا جاءتهم الشدائد في البحر يلقون أصنامهم في البحر، ويقولون: يا الله؛ يا الله؛ لعلمهم أن آلهتهم لا تكشف الضر ولا تجيب المضطر[(٣)].

ومما يؤسف له أنه في كل بلد إسلامي أناس يدعون الأولياء والشيوخ

---

(١) ابن جرير الطبري (٧/٢٣٦).
(٢) تفسير ابن كثير (٢/١٤٥).
(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص ١٨٥).

ويسألونهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، بل بلغ الأمر إلى أن سألوهم مغفرة الذنوب وترجيح الميزان، ودخول الجنة، والنجاة من النار، والتثبيت عند الموت والسؤال، وغير ذلك من أنواع المطالب التي لا تطلب إلا من الله.

وهذا المثل الذي ضربه الله لنا، فيه وصف يدخل به عمل من عُبد من دون الله، فإنه لا ينفع ولا يضر، وليس له من الأمر شيء، فمن سلك هذا المسلك ضل بعد الهداية.. كالذي استهوته الشياطين في الأرض، وله أصحاب يدعونه للهدى، فبقي بين الداعيين حائراً.. وهذه حال الناس كلهم، إلا من عصمه الله تعالى؛ فإنهم يجدون فيهم جواذب ودواعي متعارضة؛ دواعي الرسالة، والعقل الصحيح، والفطرة المستقيمة، يدعونه إلى الهدى والصعود إلى أعلى عليين. ودواعي الشيطان ومن سلك مسلكه، والنفس الأمارة بالسوء يدعونه إلى الضلال، والنزول إلى أسفل سافلين، فمن الناس: من يكون مع داعي الهدى في أموره كلها أو أغلبها. ومنهم: من هو على خلاف ذلك، ومنهم من يتساوى لديه الداعيان، ويتعارض عنده الجاذبان، وفي هذا الموضع تعرف أهل السعادة من أهل الشقاوة[(١)].

## المبحث الثالث

## مثل المشرك بالساقط من السماء

ضرب الله مثلاً صور فيه المشرك في شركه كالمتردي من مهاوي الهلاك؛ فإما أن يتوزع جسده ممزقاً في حواصل الطيور الجوارح فلا يمكن أن نجد لجسده أثراً.. أو أن سقوطه يحصل في وادٍ سحيق لا يصل إليه أحد فلا نجد لجثته أثراً. قال عز وجل: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ الحج: ٣١.

والحنفاء هم: المخلصين لله الدين، المنحرفين عن الباطل، قصداً إلى الحق،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص ٢٦١).

وقد ضرب الله للمشرك مثلاً في ضلاله وهلاكه وبعده عن الهدى، بالذي يسقط من السماء فتخطفه الطيور في الهواء، أو تلقي به الريح في مكان بعيد مهلك[1]. فالإيمان بمنزلة السماء، محفوظة مرفوعة، ومن ترك الإيمان، فهو بمنزلة الساقط من السماء، عرضة للآفات والبليات، فإما أن تخطفه الطير فتقطع أعضاءه، كذلك المشرك إذا ترك الاعتصام بالإيمان تخطفته الشياطين من كل جانب ومزقوه، وأذهبوا عليه دينه ودنياه.

ولهذا جاء في حديث البراء بن عازب – رضي الله عنه – أن الكافر إذا توفته ملائكة الموت وصعدوا بروحه إلى السماء فلا تفتح له أبواب السماء، بل تطرح روحه طرحاً من هناك، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[2].. إلى آخر الحديث الطويل، وفي هذا المثل العظيم: شبه الله سبحانه التوحيد في علوه وارتفاعه وسعته وشرفه بالسماء، وشبه تارك التوحيد بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين؛ لأنه سقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر، وشبه الشياطين التي تُقلقه بالطير التي تمزق أعضاءه، وشبه هواه الذي يبعده عن الحق بالريح التي ترمي به من مكان بعيد[3].

والشرك أعظم الذنوب؛ لأن الله تعالى أخبر أنه لا مغفرة لمن لم يتب منه مع أنه سبحانه كتب على نفسه الرحمة، وذلك يوجب للعبد شدة الحذر وشدة الخوف من الشرك الذي هذا شأنه، ويحمله على معرفته لتوقيه؛ لأنه أقبح القبيح، وأظلم الظلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان: ١٣. وذلك لأنه تنقص لله عز وجل، ومساواة لغيره به، كما قال تعالى:

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢١٩).

(٢) رواه أبو داود، كتاب: السنة، باب: المسألة في القبر وعذاب القبر (٢/ ٦٥٢ رقم ٤٧٥٣)، وابن ماجه باب: ذكر القبر والبلى (٤٢٦٦)، انظر: صحيح ابن ماجه رقم ٣٤٤١، وقد ذكره ابن كثير بتمامه في تفسير سورة إبراهيم (٢/ ٥٣٢).

(٣) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، د. صالح الفوزان (ص ٣٠).

﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٢٢؛ ولأن الشرك مناقض للمقصود بالخلق والأمر من كل وجه، فمن أشرك بالله عز وجل فقد شبه المخلوق بالخالق. وأقبح التشبيه تشبيه العاجز الفقير بالقادر الغني عن جميع المخلوقات[١].

**قال الإمام ابن القيم – رحمه الله –: (وقد تلاعب الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام بكل قوم على قدر عقولهم، فطائفة دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيم الموتى الذين صوروا كما في قوم نوح، وهذا السبب هو الغالب على عوام المشركين. وأما خواصهم فاتخذوا الأصنام على صور الكواكب المؤثرة في العالم بزعمهم، وطائفة أخرى اتخذت للقمر صنماً وزعموا أنه يستحق العبادة، وطائفة تعبد النار وهم المجوس، وطائفة تعبد الماء، وطائفة تعبد الحيوانات، وطائفة عبدت البشر الأحياء والأموات، وطائفة تعبد الجن، وطائفة تعبد الشجر، وطائفة تعبد الملائكة..)[٢].**

ومثل تفرق المشركين الأولين في عبادتهم، ومعبوداتهم تفرق القبوريين اليوم في عبادة القبور، لكل منهم ضريح خاص يُتقرب إليه بأنواع العبادة، وكل طريقة لها شيخ اتخذه مريدوه رباً من دون الله يشرع لهم من الدين ما لم يأذن به الله. وهكذا تلاعب الشيطان ببني آدم. ولا نجاة من شره ومكره إلا بتوحيد الله والاعتصام بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وبه نعرف معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ الحج: ٣١.

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص ٣٥).

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (٢/ ٣١٤) بتصرف.

# الفصل السادس
# أمثلة وصف حواس الموحد وحواس المشرك

ضرب الله عز وجل مثل المؤمن الموحد المخلص في العبادة لله، بالحي والسميع والبصير، وهو في النور والظل، وضرب مثل الكافر بالميت والأصم والأبكم والأعمى، وهو في الظلمات والحرور، مكباً على وجهه، فهو أصم لا يسمع الحق، وأبكم لا ينطق به، وأعمى عن رؤية الهدى والشرع والطريق المستقيم. وقد ورد في كتاب الله عز وجل وصف لحواس المؤمن والمشرك في أمثال عدة، وسيتم إيرادها تباعاً لترابطها ببعضها، ولورودها في القرآن متداخلة.. قال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكۡمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ الأنعام: ٣٩.

ويقول عز وجل: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ الأنعام: ٥٠.

ويقول تعالى: ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ الملك: ٢٢. ويقول تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ هود: ٢٤.

قسم الله عز وجل عباده إلى فريقين: السعداء، والأشقياء، ووصف المؤمن السعيد بالبصير السميع الذي يتبع الحق ويسمعه ويستجيب له، ووصف الشقي الكافر بالأعمى والأصم والأبكم، فهؤلاء الكفار لم يستفيدوا من حواسهم التي وهبهم الله إياها؛ فهم لا يسمعون بأسماعهم، ولا ينطقون بألسنتهم، ولا يبصرون بأعينهم، ونزلهم الله منزلة من لا يسمع ولا ينطق ولا يرى؛ لعدم قبولهم لما ينبغي قبوله من الحجج الواضحة، والدلائل الصحيحة، وإن عدم الانتفاع بالإبصار بسبب تراكم الظلمة عليهم، فهم في ظلمات الكفر والجهل والحيرة لا يهتدون لشيء فيه صلاحهم، وهذه الظلمة منعتهم من إبصار المبصرات، فكانت حواسهم كالمسلوبة التي لا ينتفع بها[(١)].

(١) انظر: فتح القدير: ٢/ ١١٤، تيسير الكريم الرحمن (ص ٢٥٦).

قال ابن كثير – رحمه الله –: (هؤلاء الكفار في جهلهم وقلة علمهم وعدم فهمهم كمثل أصم – وهو الذي لا يسمع –، أبكم – وهو الذي لا يتكلم –، وهو مع هذا في ظلمات لا يبصر، فكيف يهتدي مثل هذا إلى الطريق أو يخرج مما هو فيه)[1].

أما المؤمن فهو فطن ذكي لبيب، وصفه الله بأنه بصير بالحق، يميز بينه وبين الباطل، فيتبع الخير ويترك الشر، سميع للحجة، يفرق بينها وبين الشبهة، فلا يروج عليه باطل.

**قال ابن القيم – رحمه الله – في قوله عز وجل:** ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ **هود: ٢٤: فإنه سبحانه ذكر الكفار، ووصفهم بأنهم ما كانوا يستطيعون السمع، وما كانوا يبصرون، ثم ذكر المؤمنين، ووصفهم بالإيمان والعمل الصالح، والإخبات إلى ربهم، فوصفهم بعبودية الظاهر والباطن، وجعل أحد الفريقين كالأعمى والأصم؛ من حيث كان قلبه أعمى عن رؤية الحق، أصم عن سماعه، فشبهه بمن بصره أعمى عن رؤية الأشياء، وسمعه أصم عن سماع الأصوات، والفريق الآخر بصير القلب سميعه؛ كبصير العين وسميع الأذن. فتضمنت الآية قياسين وتمثيلين للفريقين، ثم نفى التسوية بين الفريقين بقوله:** ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾[2].

وفي المثل الآخر، قال عز وجل: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي ٱلظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ الأنعام: ١٢٢. وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ الأنعام: ٣٦.

شبه الله سبحانه وتعالى المؤمن بالحي، وشبه الكافر بالميت، من حيث إن الميت جسده خال من الروح، فيظهر منه النتن والصديد، وأصلح أحواله: دفنه بالتراب[3].

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ١٣٢).
(٢) إعلام الموقعين (١/ ١٥٤).
(٣) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، ملكاوي (ص/ ١٨٠).

وهذا المثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتاً في الضلالة هادئاً حائراً فأحياه الله، أي: أحيا قلبه بالإيمان وهداه له، ووفقه لاتباع رسله، وجعل له نوراً يمشي به في الناس ويهتدي به، وهذا النور هو القرآن الكريم.

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه روح الرسالة ويناله من حياتها وروحها، فهو في ظلمة، وهو من الأموات، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ الأنعام: ١٢٢. فهذا وصف المؤمن كان ميتاً في ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة، ونور الإيمان، وجعل له نوراً يمشي به في الناس، وأما الكافر فميت القلب في الظلمات، وسمى الله رسالته روحاً، والروح إذا عدم فقدت الحياة)[١].**

قال عز وجل: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ الأعراف: ١٧٩.

شبه الله تعالى الكفار بالأنعام والحيوانات التي لا تفهم ما يقال لها، وهمها الأكل والشرب فقط. وفي ذلك هبوط للآدمي إلى درك أهبط من درك الحيوان؟ وذلك عندما يكفر بربه ويعطل حواسه عن الانتفاع بها، ويقصر همه على الحياة الدنيا. فهؤلاء الكفار تكبروا على عبادة الله وحاربوا الأنبياء والرسل، فلما رفضوا الهداية وتكبروا عن العبادة عطل الله حواسهم، فلا القلب يفقه ما يقال له، ولا العين تبصر ما تراه، ولا الأذن تسمع ما تخبر به، وتحدث عنه، فأصبحوا كالأنعام بل هم أضل، قال عطاء: الأنعام تعرف الله، والكافر لا يعرفه، وقيل: الأنعام مطيعة لله، والكافر غير مطيع؛ لذلك هم أضل، فالأنعام ما خرجت عن الطريق الذي سيقت له، وخلقت لأجله، وأما أولئك فقد خرجوا عن الطريق الذي أمروا بسلوكه، وخلقوا له، ألا وهو عبادة الله وحده لا شريك له، فأصبح لا هم لهم إلا الأكل والشرب، واللباس والنكاح. وبذلك أصبحوا أضل من الأنعام[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٤).

(٢) انظر: أيسر التفاسير: (٢/ ٢٦٥).

# الفصل السابع
# أمثلة لبيان فساد أعمال المشركين

ضرب الله سبحانه وتعالى مثلاً لأعمال المشركين، ومثلاً لما ينفقونه من الأموال في وجوه البر، وأنها تتحول إلى سراب أو رماد لا ينتفع به..

## المبحث الأول
## مثل أعمال الكفار بالسراب والظلمات

قال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ النور: ٣٩-٤٠.

هذان مثلان ضربهما الله تعالى لنوعي الكفار.

**فأما الأول:** فهو للكفار الدعاة إلى كفرهم الذين يحسبون أنهم على شيء من الأعمال والاعتقادات، وليسوا - في نفس الأمر - على شيء، فمثلهم في ذلك كالسراب الذي يُرى على الأرض المنبسطة من بعد كأنه بحر، والسراب: شعاع أبيض يُرى في نصف النهار وكأنه ماء، فإذا رأى السراب من هو محتاج إلى الماء يحسبه ماءً فيقصده ليشرب منه، فإذا وصل إليه لم يجده شيئاً، وكذلك الكافر يحسب أنه قد عمل عملاً، وأنه قد حصل شيئاً، فإذا وافى الله يوم القيامة وحاسبه عليها، ونوقش على أفعاله لم يجد له شيئاً قد قُبل، إما لعدم الإخلاص أو لعدم سلوك الشرع. ويقول عز وجل في كتابه العزيز: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ الفرقان: ٢٣.

**وأما المثل الثاني:** فهو مثل لقلب الكافر الجاهل المقلد الذي لا يعرف حال من يقوده، وهو مثل مضروب لضلال الكافر وحيرته في حياته، وما يعيش عليه

من ظلمة الكفر، وظلمة العمل السيء، والاعتقاد الباطل، وظلمة الجهل بربه وما يريده منه، وما أعده له. فهو يعيش في ظلمات بحر عميق يعلوه موج فوقه موج آخر، ومن فوقه سحاب مظلم، فهو في ظلمات بعضها فوق بعض، إذا أخرج يده لم يكد يراها لشدة الظلمة، وهذه حال الكافر في هذه الحياة الدنيا، وهي ناتجة عن إعراضه عن ذكر ربه وتوغله في الشر والفساد.

وقد يدعي الكفار أنهم يعملون الخير، ويحسنون إلى غيرهم، وينجزون الأعمال لمصلحة البشرية والإنسانية، ورفع المعاناة عن الفقراء والمساكين، واختراع الآلات والأجهزة لسعادة بني آدم ورفاهيته؛ وأن ذلك يمنحهم قرباً من الله جل وعلا، فيدخلهم الجنة دون حساب، أو بعد حساب قليل، ولكنهم نسوا أو تناسوا أن كل ذلك على غير أساس من الإيمان بالله، وأن كل ما يبنون في الدنيا كالذي يشيد بناءً على الماء، أو على أساس من الرمال المتحركة، فهو بناء لا بقاء له، ولا إمكان لاستمراره بأي حال من الأحوال، وهؤلاء وأمثالهم يضرب لنا القرآن الكريم الأمثال المعبرة عن أعمالهم ومآلهم في أكثر من آية، فتارة يشبه أعمالهم بالسراب، وتارة بالرماد، ومرة أخرى بالظلمات.

**قال أبي بن كعب: الكافر يتقلب في خمسة من الظُّلَمَ: فكلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره يوم القيامة إلى ظلمات النار[(١)].**

قال ابن القيم – رحمه الله –: (ذكر سبحانه للكافرين مثلين: مثلاً بالسراب ومثلاً بالظلمات المتراكمة؛ وذلك؛ لأن المعرضين عن الهدى والحق نوعان: **أحدهما:** من يظن أنه على شيء، فيتبين له عند انكشاف الحقائق خلاف ما كان يظنه، وهذه حال أهل الجهل، وأهل البدع والأهواء الذين يظنون أنهم على هدى وعلم، فإذا انكشفت الحقائق تبين لهم أنهم لم يكونوا على شيء، وأن عقائدهم وأعمالهم التي ترتبت عليها كانت كسراب بقيعة يُرى في عين الناظر ماء ولا حقيقة له، وهكذا الأعمال التي لغير الله، وعلى غير أمره، يحسبها العامل نافعة له، وليست كذلك، وتأمل جعل الله السراب بالقيعة – وهي الأرض القفر الخالية

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/٢٩٦)، وأيسر التفاسير (٣/٥٧٦).

من البناء والشجر والنبات والعالم – فمحل السراب أرض قفر لا شيء فيها، والسراب لا حقيقة له، وذلك مطابق لأعمالهم وقلوبهم التي أقفرت من الإيمان والهدى، فلما كانت أعمالهم على غير طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولغير الله، جعلت كالسراب، فرفعت لهم أظمأ ما كانوا وأحوج ما كانوا إليها، فلم يجدوا شيئاً، ووجدوا الله سبحانه ثَمَّ، فجازاهم بأعمالهم ووفاهم حسابهم.

**والنوع الثاني:** أصحاب مثل الظلمات المتراكمة وهم الذين عرفوا الحق والهدى وآثروا عليه ظلمات الباطل والضلال، فتراكمت عليهم ظلمة الطبع، وظلمة النفوس، وظلمة الجهل، حيث لم يعملوا بعلمهم، فصاروا جاهلين، وظلمة اتباع الغيّ والهوى، فحالهم كحال من كان في بحر لجيٍّ لا ساحل له، وقد غشيه موج ومن فوق ذلك الموج موج، ومن فوقه سحاب مظلم، فهو في ظلمة البحر، وظلمة الموج، وظلمة السحاب، وهذا نظير ما هو فيه من الظلمات التي لم يخرجه الله منها إلى نور الإيمان.. فالكفار عدموا مادة الحياة والإضاءة بإعراضهم عن الوحي، والمثل الأول لأصحاب العمل الباطل الذي لا ينفع، والمثل الثاني لأصحاب العلم الذي لا ينفع والاعتقادات الباطلة، وكلاهما مضاد للهدى ودين الحق)[١].

وهذا حال الكفار في وقتنا الحالي تتلاطم في قلوبهم المظلمة أمواج الشكوك والشبه، وتتراكم عليهم سحب الغي والضلال، ابتعدوا عن النور، فتاهوا في ظلمات الكفر والشرك.

ولقد اشتمل مثل الظلمات من سورة النور على فائدتين:

الأولى: إفادة المثل أن أعماق البحار اللجية مظلمة ظلمة تامة وشديدة.

الثانية: إفادة المثل سبب ذلك، وهو وجود أوساط شفافة متعددة أسهمت مجتمعة في حجب الضوء والتسبب في تلك الظلمة.

(١) إعلام الموقعين (١/١٥٧-١٥٨).

(وقد جاءت البحوث والاكتشافات الحديثة في علم البحار، وعلم الضوء؛ لتؤكد هاتين الحقيقتين، وتزيد في بيان علة ذلك.

فقد اكتشف العلم الحديث أن في قاع البحار العميقة - كثيرة الماء - (البحر اللجي) ظلمات شديدة. حتى إن المخلوقات الحية تعيش في هذه الظلمات بدون آلات بصرية، وإنما تعيش بواسطة السمع، ولا توجد هذه الظلمات الحالكة في قاع البحر الذي يحيط بالجزيرة العربية)(١).

**وقد ثبت في علم الضوء أن الضوء إذا انتقل من وسط شفاف إلى وسط آخر شفاف فإن جزءاً من الضوء ينعكس، والجزء الآخر ينفذ، لكنه ينكسر، وتتكرر العملية بتعدد الأوساط المختلفة الكثيفة، فلا يزال الضوء الذي يخترق مياه البحر ينعكس جزء منه وينكسر جزء آخر، إلى أن تصل زاوية الانكسار إلى الزاوية الحرجة (زاوية الانكسار الكلي) فيرتد ما بقي من الضوء، ولا ينفذ منه عندئذ شيء إلى أسفل، ويكون ما تحت ذلك مظلماً ظلمةً تامةً(٢).**

فعلم البحار يؤكد ظلمة قاع المحيطات ظلمةً شديدةً، وعلم الضوء الحديث يؤكد ما دل عليه المثل من أن الظلمة ناتجة بسبب تلك الأوساط المعترضة له، وهي الأمواج المتعددة في تلك المحيطات.

## المبحث الثاني
## مثل أعمال الكفار بالرماد

ضرب الله مثلاً لأعمال المشركين والكافرين وخيبتهم فيها إذ لا ينتفعون بشيء منها بالرماد، وهو ما يبقى من احتراق الحطب والفحم، فالله عز وجل يمحق أعمال الكفار، كما تمحق الريح الشديدة الرماد في يوم عاصف.

---

(١) توحيد الخالق، عبدالمجيد الزنداني: (٣/٤٧)، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ط ٣، ١٤٠٨هـ.

(٢) الأمثال القرآنية القياسية، د. عبدالله الجربوع: (٢/٧٤٤)، مطبعة الجامعة الإسلامية، ط ١، ١٤٢٤هـ.

يقول سبحانه: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾ إبراهيم: ١٨.

قال ابن القيم – رحمه الله –: (شبه الله تعالى أعمال الكفار في بطلانها وعدم الانتفاع بها برماد مرت عليه ريح شديدة في يوم عاصف، فشبه سبحانه أعمالهم – في حبوطها وذهابها باطلاً كالهباء المنثور، لكونها على غير أساس من الإيمان والإحسان، وكونها لغير الله عز وجل وعلى غير أمره، برماد طيرته الريح العاصف فلا يقدر صاحبه على شيء منه وقت شدة حاجته إليه، فلا يرون له أثراً من ثواب ولا فائدة نافعة.

وفي تشبيهها بالرماد سر بديع، وذلك للتشابه الذي بين أعمالهم وبين الرماد في إحراق النار، وإذهابها لأصل هذا وهذا، فكانت الأعمال التي لغير الله وعلى غير مراده طعمةً للنار، وبها تسعر النار على أصحابها، وينشئ الله سبحانه لهم من أعمالهم الباطلة ناراً وعذاباً، كما ينشئ لأهل الأعمال الموافقة لأمره ونهيه التي هي خالصة لوجهه من أعمالهم نعيماً وروحاً، فأثرت النار في أعمال أولئك حتى جعلتها رماداً، فهم وأعمالهم وما يعبدون من دون الله وقود النار)(١).

وهؤلاء الكفار يعملون أعمال برٍ كثيرة، ويتعبدون أيضاً، ولكنها عبادة باطلة ما أنزل الله بها من سلطان، ويتصدقون ويفعلون كثيراً من أمور الخير، لكنها لا تنفعهم؛ لأنهم كفار، ومن شرط التقرب إلى الله تعالى: أن يكون المتقرب إلى الله مسلماً، وهؤلاء غير مسلمين(٢).

وهذا الأمر يجعلنا لا نغتر بأعمال الكفار التي يقومون بها في وجوه الخير والبر، كالعناية بالأيتام، والقيام على الأرامل، وإنشاء دور رعاية العجزة، ومساعدة المنكوبين في الحروب والكوارث، وإنشاء جمعيات للرفق بالحيوان،

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ١٧٠).
(٢) شرح كشف الشبهات، محمد العثيمين (ص ٢٠).

وأخرى للمعاقين وغيرها كثير، فإن هذه الأعمال مهما كانت جليلة وعظيمة في نظر الناس، فهي لا تنفعهم عند الله يوم الجزاء والحساب، بل ستذهب ذهاب الرماد الذي حملته الريح وذهبت به في يوم عاصف شديد الهبوب.

وهذا فيه رد على من ينظر إلى بعض الكفار نظرة إعجاب لقيامه بأعمال الخير والبر مغتراً بكثرتها، ومغتراً بحرصه على إنجازها رغم المصاعب التي تواجهه ظناً منه أن ذلك سينفعه بعد ذلك، فيدلل على شفقته ورحمته وعطفه على الآخرين، بهذه الأعمال، لكنها في الحقيقة لا تنفع أحداً حتى من قام بها ولو تكبد لذلك المشاق العظيمة. وإنما هي تنفعهم في الدنيا، وهذا ما يفسر لنا حب الناس لهم وإعجابهم بأعمالهم.

## المبحث الثالث

## مثل إنفاق الكفار بالزرع الذي أصابته الريح لشدته

ضرب الله مثلاً لبطلان نفقات الكفار والمشركين وأعمالهم التي يرون أنها نافعة لهم في الدنيا والآخرة. ضرب الله مثلاً: ريحاً باردة شديدة البرودة أصابت زرع أناس كاد يُحصد وهم به فرحون، وفيه مؤملون، فأفسدته تلك الريح، وقضت عليه نهائياً، فلم ينتفعوا بشيء منه. قال عز وجل: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ آل عمران: ١١٧.

ضرب مثلاً لما ينفقه الكفار والمشركون من أموالهم التي يصدون بها عن سبيل الله ويستعينون بها على إطفاء نور الله، بأنها تبطل وتضمحل، كمن زرع زرعاً يرجو نتيجته ويؤمل إدراك ريعه، فبينما هو كذلك إذ أصابته ريح فيها برد شديد محرق فأهلكت زرعه، ولم يحصل له إلا التعب والعناء وزيادة الأسف، فكذلك هؤلاء الكفار الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ﴾ الأنفال: ٣٦.

قال ابن القيم – رحمه الله –: (هذا مثل ضربه الله تعالى لمن أنفق ماله في غير طاعته ومرضاته؛ فشبه سبحانه ما ينفقه هؤلاء من أموالهم في المكارم والمفاخر، وكسب الثناء، وحسن الذكر لا يبتغون به وجه الله، وما ينفقونه ليصدوا به عن سبيل الله واتباع رسله، بالزرع الذي زرعه صاحبه يرجو نفعه وخيره فأصابته ريح شديدة البرد جداً، يحرق بردها ما يمر عليه من الزرع والثمار، فأهلكت ذلك الزرع وأيبسته، وفي قوله: ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ تنبيه على أن سبب إصابتهم لحرثهم هو ظلمهم)[١].

(١) إعلام الموقعين (١/١٨٦).

# الفصل الثامن
# المثل للحق والباطل

وفي تقرير التوحيد والتنديد بالكفر والشرك ضرب الله تعالى مثلاً للحق والباطل، للحق في بقائه، وللباطل في اضمحلاله وتلاشيه، فقال عز وجل: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدًا رَّابِيًاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ الرعد: ١٧.

شبه الله تعالى الهدى الذي أنزله على رسوله لحياة القلوب والأرواح، بالماء الذي أنزله لحياة الأرض والنبات، وشبه ما في الهدى من النفع العام الكثير الذي يضطر إليه العباد، بما في المطر من النفع العام الضروري، وشبه القلوب الحاملة للهدى وتفاوتها بالأودية التي تسيل فيها السيول، فوادٍ كبير يسع ماء كثيراً، كقلب كبير يسع علماً كثيراً، ووادٍ صغير يأخذ ماء قليلاً، كقلب صغير، يسع علماً قليلاً، وشبه ما يكون في القلوب من الشهوات والشبهات عند وصول الحق إليها، بالزبد الذي يعلو الماء، ويعلو ما يوقد عليه النار من الحلية التي يراد تخليصها وسبكها، وأنها لا تزال فوق الماء طافية مكدرة له، حتى تذهب وتضمحل ويبقى ما ينفع الناس من الماء الصافي والحلية الخالصة.

**كذلك الشبهات والشهوات لا يزال القلب يكرهها، ويجاهدها بالبراهين الصادقة، والإرادات الجازمة، حتى تذهب وتضمحل، ويبقى القلب خالصاً صافياً، ليس فيه إلا ما ينفع الناس من العلم بالحق وإيثاره، والرغبة فيه، فالباطل يذهب ويمحقه الحق[١].**

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص ٤١٦).

وقد سمى الإمام ابن القيم - رحمه الله - المثلين في هذه الآية، بالمثل المائي والناري.

المائي: إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ والناري: إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ﴾[1].

وتتوالى الأمثال للذين كفروا أفراداً وجماعات، ويضرب الله سبحانه وتعالى لنا الأمثال بالأمم السابقة وطواغيتها في كتابه الكريم؛ لبيان بطلان الشرك، وخسارة المشرك في الدنيا والآخرة، وما سقناه في هذا البحث من أساليب القرآن الكريم في عرض الأمثال للدعوة إلى توحيد الألوهية، وإبطال الشرك قليل من كثير، وما على المسلم إلا أن يقرأ القرآن الكريم بتدبر ليجد الخير الكثير، والأدلة المقنعة، والبراهين الساطعة؛ التي ترسخ عقيدة التوحيد في قلبه، وتقتلع منه كل شبهة.

(١) انظر: إعلام الموقعين (١/١٥٢).

# الخاتمة

أردنا بهذا البحث أن نبين تقرير القرآن الكريم للتوحيد بضرب الأمثال؛ لأن للأمثال فوائد كثيرة: كالتذكير، والوعظ، والحث، والزجر، والتقرير، وتقريب المراد للعقل، وتصويره بالمحسوس. وقد امتن الله على عباده بأن ضرب لهم الأمثال، ونهى عباده أن يضربوا له الأمثال الباطلة.

ومن خلال تلك الأمثال العظيمة تبين أهمية توحيد الله عز وجل وإفراده بالعبادة دون سواه، وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له، وأن كل معبود سواه فهو باطل، وعبادته باطلة.

ومن خلال تلك الأمثال تبين قبح الشرك، وحقارة أعمال المشركين، فمن الأمثال: ما جاء به تعجيزه سبحانه لآلهة المشركين، أو تسفيه المشركين الذين يعبدون غير الله، وفيها – أيضاً – بيان عاقبة المشركين الذين يعبدون غير الله، وبيان مآلهم مع من عبدوهم، وفيها بيان أن المعبودين من دون الله لا يحصل منهم نفع لمن عبدهم من جميع الوجوه، ومن هذا شأنه لا يصلح للعبادة.

وجاء في الأمثال المضروبة في القرآن: وصف لحال المؤمن من السعادة والطمأنينة والسكينة، وحال الكافر وما يصيبه من الشقاء والضيق والحيرة، وجاء فيها وصف لحواس المؤمن بأنه سميع بصير قادر، أما الكافر فهو كالأبكم والأعمى والأصم الذي ضل عن الطريق المستقيم.

وبهذا نلاحظ تنوع الأمثال في القرآن الكريم للتنفير من الشرك وبيان سمو عقيدة التوحيد، وأنها ضرورية لاستقامة الحياة البشرية وصلاحها، فبدونها تصبح الحياة فوضى لا معنى لها، وجاهلية عمياء، وأنه لا نجاة في الآخرة إلا بالتوحيد، ولذلك تنوعت أساليب القرآن الكريم في توصيل رسالة التوحيد للناس؛ لأن هذه الرسالة أعظم حقيقة في الكون؛ لذلك كان لها العناية الكاملة في القرآن الكريم.

# المصادر والمراجع

١ – الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٣، ١٣٧٠هـ.

٢ – الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، د. صالح الفوزان، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، الرياض، ١٤١٢هـ.

٣ – الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، د. عبدالله الجربوع، مطبعة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط ١، ١٤٢٤هـ.

٤ – الأمثال في القرآن الكريم، ابن قيم الجوزية، تحقيق: سعيد محمد الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨١م.

٥ – إعلام الموقعين عن رب العالمين، الإمام ابن قيم الجوزية، دار الجيل، بيروت.

٦ – إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٩هـ.

٧ – أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، ط٣، ١٤١٠هـ.

٨ – تجريد التوحيد المفيد، أحمد المقريزي، تحقيق: علي العمران، دار عالم الفوائد، ط١، ١٤١٧هـ.

٩ – تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٧٣هـ.

١٠– تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، دار الدعوة، تركيا.

١١– توحيد الخالق، عبدالمجيد الزنداني، دار المجتمع، جدة، ط٣، ١٤٠٨هـ.

١٢– تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

١٣- التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية، عبدالعزيز الرشيد، ط٢، مطبعة الإنشاء، ١٣٨٥هـ.
١٤- تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبدالله آل الشيخ، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
١٥- دلائل التوحيد، محمد القاسمي، ضبط وتعليق: خالد العكك، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
١٦- سنن ابن ماجه، الإمام محمد بن ماجه، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٧- سنن أبي داود، سليمان السجستاني، دار الجنان، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ.
١٨- شرح كشف الشبهات، محمد العثيمين، دار الثريا، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.
١٩- صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط٣، ١٤٠٨هـ.
٢٠- عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد ملكاوي، دار ابن تيمية للنشر، الرياض، ط٢، ١٤١٢هـ.
٢١- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد الشوكاني، دار الفكر، بيروت، ١٤٣٠هـ.
٢٢- القاموس المحيط، الفيروزبادي.
٢٣- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ١٣٧٥هـ.
٢٤- مباحث في علوم القرآن، مناع خليل القطان، مكتبة المعارف، الرياض، ط٨، ١٤٠١هـ.
٢٥- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مطابع الرياض، ط١، ١٣٨٢هـ.
٢٦- المحاضرات السنية في شرح العقيدة الواسطية، محمد بن عثيمين، مكتبة طبرية، الرياض.